

أضواء البيان

@ 17 @ وهو دليل على عدم ردهم إلى الدنيا مرة أخرى ، وأشار إلى ذلك بقوله : { أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ } جواباً لقولهم : { أَخْذِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِيبٌ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ } وقوله : { ذَلِكَ كُفْرًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَإِذْ دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ } وإن يُشْرَكَ بِهِ تُوْفُّوا } بعد قوله تعالى عنهم : { فَأَعْتَرَفُونَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ } ، وقوله : { وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ هَاهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ } ، بعد قوله : { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَاسِلٍ } مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ } ، وقوله هنا : { قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ } بعد قوله : { يَحْزَنُونَ } . . . فكل ذلك يدل على عدم الرد إلى الدنيا ، وعلى وجوب العذاب ، وأنه لا محيص لهم عنه . . . وبين في موضع آخر أنهم لو ردوا لعادوا إلى الكفر والطغيان . وهو قوله : { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } ، وفي هذه الآية الكريمة دليل واضح على أنه تعالى يعلم المعدوم الممكن الذي سبق في علمه أنه لا يوجد كيف يكون لو وجد ، فهو تعالى يعلم أنهم لا يردون إلى الدنيا مرة أخرى ويعلم هذا الرد الذي لا يكون لو وقع كيف يكون كما صرح به في قوله : { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } ، ويعلم أن المتخلفين من المنافقين عن غزوة تبوك لا يحضرونها لأنه هو الذي ثبّطهم عنها لحكمة كما بينه بقوله : { وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ } . وهو يعلم هذا الخروج الذي لا يكون لو وقع كيف يكون كما صرح به في قوله : { وَلَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَوْ ضَعُّوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْأُفْتِنَةَ } ، ونظير ذلك قوله تعالى : { وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّاسْلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . . . وبين في مواضع آخر أن اعترافهم هذا بقولهم : { جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } وَنُودُوا } لا ينفعهم كقوله تعالى : { فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ } ، وقوله : { قَالُوا بَلَىٰ وَوَلَاكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَيْنَا } ، ونحو ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكُمْ

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رُضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ { . . .
لم يفصل هنا ذلك ، ولكنه فصله في سورة (فصلت) بقوله : { قُلْ أَعَزُّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ